

تضافر الجريمة البحرية بالاعتداء المسلح في خليج غينيا: آفاقها وتأثيرها

بيتر تشاك، معهد راند للسياسات

مقدمة

يشكل خليج غينيا- المنطقة الساحلية الممتدة من السنغال في الشمال إلى أنغولا في الجنوب- شريان الحياة الاقتصادية للدول الساحلية وغير الساحلية في غرب أفريقيا، وهو يتمتع بأهمية استراتيجية بالنسبة إلى باقي دول العالم من حيث الروابط التجارية، وخصوصاً احتياطيات الطاقة. لكن المؤسف هو أن المنطقة تعاني من مشكلة كبرى، ألا وهي تفشي الجريمة التي امتدت بشكل مطرد من دلتا النيجر لتطال المياه الإقليمية لكل من بنين والكاميرون وساحل العاج وغانا وغينيا وتوغو والغبون. تتناول هذه المقالة آفاق هذا النشاط البحري غير المشروع في خليج غينيا وآثاره. وهي تتطرق بدايةً إلى بعض التهديدات الرئيسية التي تطال المنطقة، مع التركيز على القرصنة والسطو المسلح في البحر والتموين غير المشروع للنفط والاتجار بالمخدرات. ومن ثم تستعرض بعض الآثار الرئيسية لهذه التحديات على الأمن الوطني والإقليمي والدولي.

القرصنة والسطو المسلح في البحر

بين العام 2009 ويونيو العام 2014، وقع 265 عمل قرصنة وسطو مسلح في خليج غينيا.¹ فهذه الظاهرة تجاوزت الآن القرن الأفريقي من حيث عدد الهجمات، وخلال النصف الأول من العام 2014، تم تسجيل وقوع 19 حادثاً (مقارنةً بأربع حوادث فقط في خليج عدن/خليج غينيا).² تقع المياه الأكثر خطورة

قبالة نيجيريا التي شهدت 31 هجوماً (هجوم فعلي ومحاولة هجوم) في العام 2013، ما يعادل أقل من ثلثي (63.2%) عدد الهجمات كافة التي وقعت ضمن الحزام الساحلي الأوسع نطاقاً لخليج غينيا (الرسم البياني 1).³

ويُشار إلى أن معظم الهجمات في خليج غينيا تحدث في المياه الوطنية أو الساحلية، وهي تتخذ عادةً شكل الصعود على متن السفينة بهدف سرقة معدّات وأموال وأشياء ثمينة محمولة أخرى يُصار إلى نقلها فوراً إلى قارب أو مركب آخر، ومنه إلى البرّ. كما وتتم عمليّات خطف صريح. لكن وخلافاً لما يجري في القرن الأفريقي حيث يحاول الجناة الابتزاز للحصول على فدية مقابل الإفراج عن السفينة المحتجزة وإطلاق سراح طاقمها، إن الهدف الرئيسي من القرصنة في خليج غينيا هو سرقة البضائع لكي تباع لاحقاً في السوق السوداء.⁴ يتم استهداف سفن البضائع على أنواعها، على الرغم من كون ناقلات المنتجات النفطية هي التي يتم تفضيلها نظراً لقيمة حمولتها.

وبما أن العصابات التي ترتكب أعمالها في تلك المياه غير مهتمّة باحتجاز رهائن لقاء الحصول على فدية، تميل مستويات العنف المرافق لأفعالها إلى أن تكون مرتفعة بما يفوق ما تشهده منطقة خليج عدن.⁵ ويُشار إلى أن كثرة الأسلحة القتاليّة في منطقة غرب أفريقيا أدّت إلى تأجيج أعمال القتل. وتشمل هذه الأسلحة بنادق بيريتا AR-70، ورشاشات خفيفة وبنادق اقتحام من طراز AK-47، وG3، وفن فنك FNC، وإف إن فال FAL، وألغام مضادة للأفراد، وقذائف صاروخيّة (RPGs). يتم الحصول على معظم هذه الذخائر من بقايا المخزونات في أجزاء مَرَقَتها الحرب من المنطقة الفرعية (وخصوصاً سيراليون وليبيريا)، أو من الاتجار غير المشروع بالأسلحة، أو من عناصر فاسدين من قوات الأمن.⁶

وفضلاً عن الهجمات التي يتمُّ شنّها على السفن، وقعت هجمات عدّة ضدّ منصّات النفط البحرية، وخصوصاً في دلتا النيجر وحولها. وعادةً، تتفدّ هذه الهجمات ميليشيات قبلية منظمّة، ويتم تبريرها عادةً باسم تعزيز التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وفي معظم الحالات، يعتمد المعتدون إلى استخدام زوارق سريعة قوية وسريعة المناورة- غالباً ما تكون مزوّدة بمدافع على متنها- بغية محاصرة أهداف محدّدة مسبقاً والتغلّب عليها. وتهدف هذه التكتيكات من نوع السرينة إلى تعطيل نظام بالكامل إمّا عبر الإرغام على توقيف الإنتاج بشكل كامل أو عبر تأخير/توقيف تصليحات جارية.⁷

التموين غير المشروع بالنفط

التموين غير المشروع- وهو عملية تنطوي على استغلال خطوط أنابيب النفط وشفط محتواها وتفريغها في مراكب ليتم بيعه مجدّداً- هو نشاط يحدث في دلتا النيجر على وجه الحصر تقريباً. في البداية، كان هذا النشاط عبارة عن مشروع على نطاق صغير نسبياً، لكنّه تطوّر ليتحوّل إلى "تجارة" مزدهرة تدرّ أرباحاً طائلة، ما يضاعف تهديد الميليشيات المسلّحة ويتسبّب بحرمان الدولة من مصدر حيوي للدخل.⁸ إن الآليات الفعلية للتموين عبارة عن عمليّة معقّدة تشمل العديد من الجهات الفاعلة. يبدأ الأمر في مستنقعات الدلتا ويبلغ ذروته في المياه الساحلية للمنطقة الاقتصادية الخالصة لنيجيريا. وتنطوي العملية برمتها على مراحل عدّة: الشفط الأولي للنفط وجمعه في سفينة نقل أخرى؛ معالجة النفط المكرر المستخرج في واحدة من المصافي غير القانونيّة العديدة في الدلتا؛ نقل النفط المكرر إلى سفينة ساحليّة؛ تسليمه

النهائي لسفينة شحن ضخمة راسية قبالة الشاطئ حيث يتم بيعه بسعر متفق عليه- وفي غالب الأحيان، بعد الحصول على الموافقة الضمنية للمسؤولين الفاسدين- أو استبداله بالأسلحة أو ليتم فعل الأمرين معاً.⁹ من الصعب تقدير حجم سرقة النفط غير المشروع في ولاية دلتا نظراً للسرية التامة التي تتم بها العملية، وللفساد السائد بين المسؤولين، ولعدم تقديم تقارير متسقة عن العملية. ويعتقد جايمس إيوري، الحاكم السابق لولاية دلتا أن مقدار النفط الخام المسروق يُقدَّر بـ300 ألف برميل في اليوم نتيجة السرقة المنظمة؛ غير أن الشركات المتعددة الجنسيات العاملة في المنطقة اعتبرت تقديره مبالغاً، مع العلم أنها تقدّر المعدّل الكلي للسرقة ما بين 150 ألف و200 ألف برميل في اليوم، فيما يشير محلّون آخرون إلى أن هذا الرقم يقارب الـ100 ألف برميل في اليوم.¹⁰ لكن أياً يكن حجم السرقة، من الواضح أن حجم المشكلة كبير جداً، كونها تحدّ من متوسط إنتاج نيجيريا للنفط الذي يبلغ حوالي مليوني برميل في اليوم ويكبّد الحكومة وشركات النفط خسائر كبيرة في الإيرادات.

لا يزال عدد من الميليشيات القبلية المتورّطة بشنّ هجمات على منصات النفط البحرية في خليج غينيا يحتلّ الصدارة في التمويل غير المشروع في الدلتا. يشكّل شعب إيجاو الجزء الأكبر من السكان في هذه المنطقة يعيش معظمهم في فقر مدقع على الرغم من أن الأغلبية الساحقة من الثروة النفطية في نيجيريا- التي تشكّل 80% من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد و95% من الإيرادات بالعملة الأجنبية- تُضخّ من دول ولاية دلتا. خلال العقد الأخير، حملت مجموعات عدّة السلاح لتحارب بهدف الحصول على حصة أكثر إنصافاً من الثروة النفطية في المنطقة، مستخدمةً أرباح مبيعات النفط غير المشروعة لتمويل حملاتها ضد الدولة النيجيرية. وتشمل أمثلة بارزة على ذلك "حركة تحرير دلتا النيجر" (MEND) والمجموعات المتفرّعة منها،¹¹

وقوة متطوعي دلتا النيجر (NDPVF)، والميليشيا المسلحة Niger Delta Vigilantes، وقوات التحرير

الشعبية (PLF).¹²

الاتجار بالمخدرات

يتركز الاتجار بالمخدرات في خليج غينيا على التجارة الدولية للكوكايين. فالمنطقة برزت كمركز متزايد الأهمية لإعادة الشحن لعصابات المخدرات في أميركا اللاتينية الساعية إلى الانتقال من التركيز شبه الحصري على الولايات المتحدة الأميركية لتشمل مستهلكين في أوروبا أيضاً. ويعكس التركيز المتزايد على هذه السوق ارتفاع أسعار الشارع وتحول أنماط الطلب نحو الكوكايين ومشتقاته الإدمانية إلى حد كبير مثل الكراك (كوكايين).

وتشمل مراكز إعادة الشحن الرئيسية في خليج غينيا دول سيراليون، وغينيا، وغانا، والسنغال، وخصوصاً غينيا بيساو. تشوب هذه الدول كلها أنظمة قضائية ضعيفة، وهي تفتقر إلى الموارد اللازمة لمراقبة السواحل مراقبة فعالة (أو حتى أولية)، وهي تعاني من الفساد المستشري- ما يجعلها مراكز مثالية لنقل المخدرات خارج أميركا اللاتينية. وتشير تقديرات مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة إلى أن 50 طناً على الأقل من الكوكايين المكرر (وتقدر قيمته بنحو ملياري دولار) المتجه إلى أوروبا يُشحن عبر خليج غينيا كل

سنة.¹³

وضمن المنطقة، تشهد غينيا بيساو ذروة أنشطة التهريب- لدرجة أن البلاد تُعتبر الآن أول دولة مخدرات حقيقية في العالم. ويُشار إلى أن قيمة المخدرات التي تعبر في هذا البلد الأفريقي الغربي تضاهي قيمة

اقتصاده الرسمي في حين أن التواطؤ في التجارة يصل إلى أعلى مستويات البيروقراطية العسكرية والمدنية الحاكمة.¹⁴

وفي العام 2013، صدر عن محكمة في نيويورك قرار اتهامي غيابياً بحق قائد الجيش في غينيا بيساو، الجنرال أنطونيو إينجاي، بتهمة الاتجار بالمخدرات والأسلحة والارتباط المباشر بالمؤسسات الإجرامية للقوات المسلحة الثورية الكولومبية (FARC).¹⁵ وقبل أسبوعين، كان قد تم توقيف القائد السابق للقوات البحرية، الأدميرال البحري خوسيه أميريكو بوبونا تشوتو، خلال عملية خداعية قامت بها إدارة مكافحة المخدرات (DEA) اعترف خلالها لعملاء سريين بقيامه بالترتيبات اللازمة لتخزين الكوكايين الكولومبي ونقله بسعر مليون دولار لكل 1000 كيلوغرام يتم إدخاله إلى البلاد.¹⁶

الجريمة البحرية في خليج غينيا: الآثار الوطنية والإقليمية والدولية

تتطوي الجريمة البحرية على مخاطر فعلية تطل دول خليج غينيا التي تعتمد على الموارد والتجارة المنبثقة من هذا الجزء من العالم. وقد انتقصت الهجمات على النقل البحري من مكانة الخليج كمر تجاري آمن عبر المحيط مع تردّد أصحاب السفن ومشغليها بشكل متزايد في دفع أفساط التأمين المرتفعة المطلوبة الآن للعبور في مياه المنطقة.

إن الفساد المستشري الناتج عن سرقة النفط المنظمة والاتجار بالمخدرات أدى إلى تشجيع وترسيخ مشكلة ارتشاء المسؤولين الخطرة والقائمة أساساً؛ الأمر الذي نسف ثقة الشعب بالمسؤولين المنتخبين، ويعناصر القوات المسلحة ووكلاء إنفاذ القانون والنظام.

لقد كان للميليشيات القبليّة في دلتا النيجر تأثير كبير على الاستقرار الداخلي لنيجيريا، المرتكز السياسي لخليج غينيا وغرب أفريقيا بشكل عام. ولم تساعد جماعات مثل حركة تحرير دلتا النيجر (MEND) والميليشيا المسلّحة The Niger Delta Vigilante وقوة متطوعي دلتا النيجر (NDPVF) على تطبيع العنف كشكل مقبول من أشكال العمل الاجتماعي فحسب، بل إن أعمالها الإجرامية أثّرت تأثيراً مباشراً على إنتاج النفط. وأفاد الأدميرال البحري، أويغا، مدير مكتب التغيير التابع لسلح البحرية النيجيرية أن الدولة خسرت حوالي 1,656,281 برميل نفط في الشهر نتيجة سرقة النفط في العام 2013.¹⁷

إن الجريمة البحرية في خليج غينيا، فضلاً عن آثارها الوطنية والإقليمية، مهمة بالنسبة إلى الأمن الدولي الأوسع نطاقاً. واليوم، تشكّل المنطقة عقدة حاسمة لإعادة شحن كوكابين الأنديز، ما يعزّز الخزينة الحربية للقوات المسلحة الثورية الكولومبية (FARC) (التي يُعتقد أنها تجني ما بين 200 و300 مليون دولار أميركي من التجارة) و"يغذي" مشكّلة الإدمان المتزايد على المخدرات والجريمة المرتبطة بالمخدرات في أوروبا الغربية. وبالقدر نفسه من الأهمية، إن أنشطة القرصنة والميليشيات تعطلّ إنتاج النفط في منطقة تتضمّن نحو 4% من إجمالي إنتاج النفط في العالم.

فضلاً عن هذه القضايا، تساهم الجريمة البحرية في الافتقار إلى الحوكمة عبر مساحة جغرافية أوسع نطاقاً مجاورة لمنطقتين بارزتين للنشاط الإرهابي، وهما: بوكو حرام في شمال نيجيريا/كاميرون وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQIM) في دول الساحل.¹⁸ تستفيد هاتان المنظمتان من حالة عدم الاستقرار السائدة في خليج غينيا- إن لم يكن بشكل مباشر من خلال النفاذ إلى المال والأسلحة والمجندين، فأقلّه

بشكل عرضي من خلال التمكن من الاستفادة من الظروف المؤاتية للعمل التي تولّدها هياكل الدولة الضعيفة.

عمى بحري؟

فيما يتم بذل جهود لتعزيز الوعي في المجال البحري وضمان أمن المياه في المنطقة، انبثقت معظم المبادرات عن الافتراض أن أفضل طريقة للتعامل مع التهديدات تقضي بمعالجتها في البحر. هذا يتنافى مع الواقع الأساسي الذي يبيّن أن العوامل المحرّكة الرئيسية للجريمة البحرية في هذا الجزء من أفريقيا تنبثق من البر، ونذكر منها على وجه الخصوص التهميش الاقتصادي والحرمان الاجتماعي والفقر والفساد. إلى أن يتم القيام بتحركات شاملة للتخفيف من هذه الأسباب الجذرية- وخصوصاً في دلتا النيجر التي تشكّل مصدراً رئيسياً للعديد من التهديدات المنبثقة من البحر والتي تطال الخليج في الوقت الحالي- ستظلّ ظواهر مثل القرصنة وسرقة النفط والاتجار بالمخدرات قائمة في منطقة خليج غينيا الأوسع نطاقاً.¹⁹

Endnotes

¹ International Maritime Bureau (hereafter referred to as IMB), *Piracy and Armed Robbery Against Ships: Report for the Period 1 January – 31 March 2013* (London: IMB, April 2014), 5.

² IMB, *Piracy and Armed Robbery Against Ships: Report for the Period 1 January – 30 June 2014* (London: IMB, July 2014), 5-6.

³ IMB, *Piracy and Armed Robbery Against Ships: Report for the Period 1 January – 31 December 2013*, 5.

⁴ AdjoaAnyimadu, *Maritime Security in the Gulf of Guinea: Lessons Learned from the Indian Ocean* (London: Chatham House, Africa Paper 2013/02, July 2013), 3; Ryan Cummings, “The Rise and Rise of Piracy in the Gulf of Guinea,” Think Africa Press, July 18, 2013.

⁵ P.K. Ghosh, *Waiting to Explode: Piracy in the Gulf of Guinea* (New Delhi: Observer Research Foundation Occasional Paper #46, September 2013), 16; IMB, *Piracy and Armed Robbery Against Ships: Report for the Period 1 January – 31 December 2013*, 21; Jessica Lincoln, “Thinking Globally: Countering Piracy in West Africa,” *Current Intelligence - Analysis*, June 8, 2012, available online at



<http://www.currentintelligence.net/analysis/2012/6/8/thinking-globally-counterung-piracy-in-west-africa.html>, as of July 23, 2013.

⁶Shedrack Gaya Best and Dimieari Von Kemedi, "Small-Arms Proliferation Rises in Nigerian Rivers and Plateau States," *Jane's Intelligence Review* (October 2005): 37-38; Lincoln, "Thinking Globally: Countering Piracy in West Africa."

⁷"Nigeria's Shadowy Oil Rebels," *BBC NEWS*, April 20, 2006, available on-line at <http://news.bbc.co.uk/go/pr/fr/-/2/hi/africa/4732210.stm>, as of February 13, 2008; "Intelligence Brief: M.E.N.D. Escalates Instability in Nigeria," *Power and Internet News Report*, April 27, 2006, available on-line at <http://www.pinr.com/report> as of February 13, 2008

⁸ See, for instance, Augustine Ikelegbe, "The Economy of Conflict in the Oil Rich Niger Delta Region of Nigeria," *Nordic Journal of African Studies*, 14/ 2 (2005): 215-16; and AdekunbiEro, "We are Making Progress," text of Interview with Brigadier WuyepRimtip, Commander Joint Task Force in the Niger Delta, reproduced in *Tell Magazine* (May 26 2008): 28.

⁹Author interview, Abuja, September 2008.

¹⁰Ikelegbe, "The Economy of Conflict in the Oil Rich Niger Delta Region of Nigeria," 222; Human Rights Watch, *The Warri Crisis: Fueling Violence*, Human Right Watch Report 15/18A (2003): 17-18; Kenneth Ehigiator, Kenneth, "Oil Smugglers accused of Fueling Warri Crisis," *Vanguard Newspaper*, August 21, 2003; Neil Ford, "In Deep Water," *Jane's Intelligence Review* (August 2008): 56; Lincoln, "Thinking Globally: Countering Piracy in West Africa"; "Nigeria Losing a Fifth of Revenue to Oil Theft – Report," *Reuters*, May 15, 2012.

¹¹ These include the Federated Niger Delta Ijaw Communities (FNDIC), the Outlaws, "General" Boyloaf and the Niger Delta Strike Force (NDSF).

¹² Jean Herskovits, "Nigeria's Rigged Democracy," *Foreign Affairs* (July/August 2007): 123-125; Ford, "In Deep Water," 57; Ghosh, *Waiting to Explode: Piracy in the Gulf of Guinea*, 11-13; Cummings, "The Rise and Rise of Piracy in the Gulf of Guinea"; Tomas Malinas, "Militancy in Niger Delta," Matthew B. Ridway Center for International Security Studies, University of Pittsburgh, n.d.a, available online at <http://www.ridgway.pitt.edu/RidgwayResearch/Issues/InternationalPeaceSecurity/BackgroundersIPS/tabid/552/smid/1686/ArticleID/646/refTab/497/t/Militancy-in-the-Niger-Delta/Default.aspx>, as of July 23, 2013.

¹³ *West Africa Coast Initiative* (New York: UNODC, 2013), available on-line at <https://www.unodc.org/westandcentralafrica/en/west-africa-coast-initiative.html>, as of July 23, 2013.

¹⁴Anyimadu, *Maritime Security in the Gulf of Guinea: Lessons Learned from the Indian Ocean*, 6.

¹⁵ Adam Nossiter, "U.S. Indicts Guinea-Bissau's Military Chief in Drug Case," *The New York Times*, April 19, 2013. At the time of writing Injai remained free in Guinea-Bissau.

¹⁶ Adam Nossiter, "U.S. Sting That Snared African Ex-Admiral Shines a Light on the Drug Trade," *The New York Times*, April 16, 2013.

¹⁷ "Nigeria Loses U.S.\$20 Billion Annually to Crude Oil Theft – Rear Admiral Oyagha," *Vanguard*, May 30, 2014, available online at <http://allafrica.com/stories/201405300250.html>, as of July 24, 2014.

¹⁸ N.R. Jenzen-Jones, "Maritime Security in West Africa: An Industry-Based Approach," *Current Intelligence – Analysis*, June 5 2012, available online at <http://www.currentintelligence.net/analysis/2012/6/5/maritime-security-in-west-africa-an-industry-based-approach.html>, as of July 25, 2014

¹⁹ Cummings, "The Rise and Rise of Piracy in the Gulf of Guinea": Combating Piracy and Oil Theft in Nigeria.



وزارة الخارجية
MINISTRY OF FOREIGN AFFAIRS



موانئ دبي العالمية
DP WORLD

مؤتمر الامارات العربية المتحدة لمكافحة القرصنة 2014

ورقة عمل

تتشر هذه المادة من قبل مؤسسة الشرق الأدنى والخليج للتحليل العسكري (ينغما) في اطار المؤتمر الرابع لدولة الامارات العربية المتحدة حول مكافحة القرصنة البحرية، "الحفاظ على تعافي الدولة: من خلال استدامة الجهود الفعالة في البحر ومجابهة عدم الاستقرار على اليابسة." الذي تنظمه وزارة الخارجية الاماراتية بالشراكة مع موانئ دبي العالمية في دبي بتاريخ 29-30 أكتوبر، 2014. ان الآراء الواردة في هذه الورقة هي خاصة بالمؤلف فقط، ولا تعكس آراء أو مواقف منظمي المؤتمر. قد يكون تم تعديل المضمون لأغراض تشكيلية.

للمزيد من المعلومات، يرجى زيارة موقع المؤتمر على الرابط التالي: www.counterpiracy.ae